

تفسير البحر المحيط

@ 101 @ صائم ؟) وإلى قوله وقد صرف وجه الفضل بن العباس عن ملاحظة النساء في الحج :
(إن هذا يوم ، من ملك فيه سمعه وبصره غفر له ؟) .

ومعلوم خطر ذلك في غير ذلك اليوم ، ولكنه خصه بالذكر تعظيماً لحرمة . .
وفي قوله : ولا فسوق ، إشارة إلى أنه يحدث للحج توبة من المعاصي حتى يرجع من ذنوبه
كيوم ولدته أمه . .

{ وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ } هذه جملة شرطية ، وتقدير الكلام
على إعراب نظيرها في قوله : { وَ مَا * نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ } وخص الخير ، وإن كان
تعالى عالماً بالخير والشر ، حثاً على فعل الخير ، ولأن ما سبق من ذكر فرض الحج ، وهو
خير ، ولأن نستبدل بتلك المنهيات أضدادها ، فنستبدل بالرفث الكلام الحسن والفعل الجميل ،
والفسوق الطاعة ، والجدال الوفاق ، ولأن يكثر رجاء وجه الله تعالى ، ولأن يكون وعداً
بالثواب . .

وجواب الشرط وهو : يعلمه الله ، فإما أن يكون عيّر عن المجازاة عن فعل الخير بالعلم ،
كأنه قيل : يجازكم الله به ، أو يكون ذكر المجازاة بعد ذكر العلم ، أي : يعلمه الله فيثيب
عليه ، وفي قوله : وما تفعلوا ، التفات ، إذ هو خروج من غيبة إلى خطاب ، وحمل على معنى
: من ، إذ هو خروج من أفراد إلى جمع ، وعبر بقوله : تفعلوا ، عن ما يصدر عن الإنسان
من فعل وقول ونية ، إما تغليباً للفعل ، وإما إطلاقاً على القول ، والإعتقاد لفظ الفعل ،
فإنه يقال : أفعال الجوارح ، وأفعال اللسان ، وأفعال القلب ، والضمير في : يعلمه ،
عائد على : ما ، من قوله : وما تفعلوا ، و : من ، في موضع نصب ، ويتعلق بمحذوف . .
وقد خبط بعض المعربين فقال : إن : من خير ، متعلق : بتفعلوا ، وهو في موضع نصب نعتاً
لمصدر محذوف تقديره : وما تفعلوه فعلاً من خير يعلمه الله ، جزم بجواب الشرط ، والهاء في
: يعلمه الله ، يعود إلى خير انتهى قوله . .

ولولا أنه مسطر في التفسير لما حكيته ، وجهة التخييط فيه أنه زعم أن : من خير ، متعلق
: بتفعلوا ، ثم قال : وهو في موضع نصب نعتاً لمصدر . فإذا كان كذلك كان العامل فيه
محذوفاً ، فيناقض هذا القول كون : من ، يتعلق : بتفعلوا ، لأن : من ، حيث تعلقت بتفعلوا
كان العامل غير محذوف وقوله والهاء تعود إلى خير خطأ فاحش لأن الجملة جواب لجملة شرطية
بالاسم ، فالهاء عائدة على الاسم ، أعني : اسم الشرط ، وإذا جعلتها عائدة على الخير عري
الجواب عن ضمير يعود على اسم الشرط ، وذلك لا يجوز ، لو قلت : من يأتيني يخرج خالد ، ولا

يقدر ضميراً يعود على أسم الشرط ، لم يجر بخلاف الشرط إذا كان بالحرف ، فإنه يجوز خلوص
الجملة من الضمير نحو : إن تأتني يخرج خالد . .
{ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى } روي عن ابن عباس أنها نزلت في
ناس من اليمن يحجون بغير زاد ، ويقولون : نحن متوكلون بحج بيت الله أفلا يطعمنا ؟
فيتوصلون بالناس ، وربما ظلموا وغضبوا ، فأمروا بالتزود ، وأن لا يظلموا أو يكونوا
كؤلاء على الناس . وروي عن ابن عمر قال : إذا أحرموا ومعهم أزودة رموا بها ، واستأنفوا
زاداً آخر ، فنهوا عن ذلك ، وأمر بالتحفظ بالزاد والتزود . .
فعلى ما روي من سبب نزول هذه الآية يكون أمراً بالتزود في الأسفار الدنيوية ، والذي
يدل عليه سياق ما قبل هذا الأمر ، وما بعده أن يكون الأمر بالتزود هنا بالنسبة إلى تحصيل
الأعمال الصالحة التي تكون له كالزاد إلى سفره للآخرة ، ألا ترى أن قبله : { وَامَّا
تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّٰهُ } ومعناه الحث والتحريض على فعل الخير
الذي يترتب عليه الجزاء في الآخرة ؟ وبعده { فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى }
والتقوى في عرف الشرع والقرآن عبارة عن ما يتقى به النار ؟ ويكون مفعول : تزودوا ،
محذوفاً تقديره ، وتزودوا التقوى ، أو : من التقوى ، ولما حذف المفعول أتى بخبر إن
ظاهراً ليدل على أن المحذوف هو هذا الظاهر ، ولو لم يحذف المفعول لأتي به مضمراً عائداً
على المفعول ، أو كان يأتي ظاهراً تفخيماً لذكر التقوى ، وتعظيماً لشأنها . وقد قال
بعضهم في التزود للآخرة :